

فتح القدير

سورة الأنفال .

صرح كثير من المفسرين بأنها مدنية ولم يستثنوا منها شيئاً وبه قال الحسن وعكرمة وجابر بن زيد وعطاء وقد روي مثل هذا عن ابن عباس أخرجه النحاس في ناسخه وأبو الشيخ وابن مردويه عنه قال : سورة الأنفال نزلت بالمدينة وأخرجه ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير وأخرجه ابن مردويه أيضاً عن زيد بن ثابت وأخرج سعيد بن منصور والبخاري وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه عن ابن عباس أنه قال : نزلت في بدر وفي لفظ : تلك سورة بدر قال القرطبي : قال ابن عباس هي مدنية إلا سبع آيات من قوله : { وإن يمكر به الذين كفروا } إلى آخر سبع آيات وجملة آيات هذه السورة ست وسبعون آية وقد كان النبي ﷺ يقرأ بها في صلاة المغرب كما أخرجه الطبراني بسند صحيح عن أبي أيوب وأخرج أيضاً زيد بن ثابت عن النبي ﷺ . الأنفال بسورة المغرب من الركعتين في يقرأ كان أنه ﷺ الأنفال جمع نفل محركاً وهو الغنيمة ومنه قول عترة : .

(إن إذا أحمر الوجن نروي القنا ... ونعرف عند مقاسم الأنفال) .

أي الغنائم وأصل النفل : الزيادة وسميت الغنيمة به لأنها زيادة فيما أحل الله لهذه الأمة مما كان محظياً على غيرهم أو لأنها زيادة على ما يحصل للمجاهد من أجر الجهاد ويطلق النفل على معانٍ أخرى منها اليمين والابتعاء ونبت معرفة والنافلة التطوع لكونها زائدة على الواجب والنافلة : ولد الولد لأنه زيادة على الولد وكان سبب نزول الآية : اختلاف الصحابة 1 : فقال والرسول ﷺ وجعله أيديهم من غنمهم ما ﴿ فنزع بيانته سبباً كما بدر يوم في هم - { قل الأنفال ﷺ والرسول } أي حكمها مختص بهما يقسمها بينكم رسول الله ﷺ عن أمر الله ﷺ سبباً وليس لكم حكم في ذلك .

وقد ذهب جماعة من الصحابة والتبعين إلى أن الأنفال كانت لرسول الله ﷺ خاصة ليس لأحد فيها شيء حتى نزل قوله تعالى : { واعلموا أنما غنمتم من شيء فإنما خمسه } ثم أمرهم بالتقى وإصلاح ذات البيين وطاعة الله ﷺ والرسول بالتسليم لأمرهما وترك الاختلاف الذي وقع بينهم ثم قال : { إن كنتم مؤمنين } أي امتنعوا هذه الأوامر الثلاثة إن كنتم مؤمنين بما وفديه من التهذيب والإلهاب ما لا يخفى مع كونهم في تلك الحال على الإيمان فكانه قال : إن كنتم مستمرين على الإيمان بما لأن هذه الثلاثة الأمور التي هي تقوى الله ﷺ وإصلاح ذات البيين وطاعة الله ﷺ والرسول لا يكمل الإيمان بدونها بل لا يثبت أصلاً لمن لم يمثلها فإن من ليس بمتق وليس بمطيع ﷺ ورسوله ليس بمؤمن .

وقد أخرج أحمد وعبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ والحاكم وابن مردوه والبيهقي في سننه عن أبي أمامة قال : سألت عبادة بن الصامت عن الأنفال فقال : فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في النفل وسأله فيه أخلاقنا فانتزعه الله من أيدينا وجعله إلى الرسول A فقسمه رسول الله بين المسلمين عن بواء يقول عن سواء وأخرج سعيد بن منصور وأحمد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وصححه وأبو الشيخ وابن مردوه والبيهقي في سننه عن عبادة بن الصامت قال : خرجنا مع رسول الله A فشهدت معه بدرًا فالتقى الناس فهزمه العدو فانطلقت طائفة في آثارهم يهزموه ويقتلون وأكبت طائفة على العسكر يحوزونه ويجمعونه وأحدقت طائفة برسول الله A لا يصيب العدو منه غرة حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم : نحن حربناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب وقال الذين خرجوا في طلب العدو : لستم بأحق بها منا نحن نفينا عنه العدو وهزمناهم وقال الذين أحذقوا برسول الله A : لستم بأحق بها منا نحن أحذقنا برسول الله A وخفنا أن يصيب العدو منه غرة فاستغلنا به فنزلت : { يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله ولرسول } قسمها رسول الله A بين المسلمين وكان رسول الله A إذا أغارت في أرض العدو نفل الربع وإذا أقبل رجالا وكل الناس نفل الثالث وكان يكره الأنفال ويقول : لي رد قوي المسلمين على ضعيفهم وأخرج إسحاق بن راهويه في مسنده وأبو الشيخ وابن مردوه عن أبي أيوب الأنباري قال : [بعث رسول الله A سرية فنصرها الله وفتح عليها فكان من آتاه بشيء نفله من الخمس فرجع رجال كانوا يستقدمون ويقتلون ويأسرون وتركوا الغنائم خلفهم فلم ينالوا من الغنائم شيئاً فقالوا : يا رسول الله ما بال رجال منا يستقدمون ويأسرون وتختلف رجال لم يصلوا بالقتال فنفلتهم بالغنيمة ؟ فسكت رسول الله A ونزل : { يسألونك عن الأنفال } الآية فدعاهم رسول الله A فقال : ردوا ما أخذتم واقتسموا بالعدل والسوية فإن الله يأمركم بذلك فقالوا : قد أنفقنا وأكلنا فقال : احتسبوا ذلك] وأخرج أحمد وأبو داود والترمذى وصححه والنمسائي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو نعيم في الحلية والحاكم وصححه وابن مردوه والبيهقي في سننه عن سعد بن أبي وقاص قال : [قلت : يا رسول الله قد شفاني الله اليوم من المشركين فهو لي هذا السيف فقال : إن هذا السيف لا لك ولا لي ضعه فوضعته ثم رجعت قلت : عسى يعطى هذا السيف اليوم من لا يبللي بلائي إذا رجل يدعوني من ورائي قلت : قد أنزل الله في شيئاً ؟ قال : كنت سألتني هذا السيف وليس هو لي وإنه قد وهب لي فهو لك وأنزل الله هذه الآية { يسألونك عن الأنفال }] وفي لفظ لأحمد [أن سعداً قال : لما قتل أخي يوم بدر وقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكنيفة فأتيت به رسول الله A ثم ذكر نحو ما تقدم] وقد روى هذا الحديث عن سعد من وجوه آخر وأخرج ابن جرير وابن مردوه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : [أن الناس سألوا رسول الله A الغنائم يوم بدر فنزلت : { يسألونك عن الأنفال }] وأخرج ابن

مروديه عنه قال : لم ينفل النبي A بعد إذ نزلت عليه { يسألونك عن الأنفال } إلا من الخمس فإنه نفل يوم خيبر من الخمس وأخرج ابن أبي شيبة وأبو داود والنسائي وابن جرير وابن المنذر وابن حبان وأبو الشيخ والحاكم وصححه وابن مردوه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال لما كان يوم بدر قال النبي A : [من قتل فتىلا فله كذا وكذا ومن أسر أسيرا فله كذا وكذا فأما المشيخة فثبتوا تحت الرأيات وأما الشبان فسارعوا إلى القتل والغنائم فقالت المشيخة للشبان : أشركونا معكم فإننا كنا لكم رداء ولو كان منكم شيء للجأت إلينا فاختصموا إلى النبي A فنزلت : { يسألونك عن الأنفال } الآية فقسم النبي A الغنائم بينهم بالسوية] وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردوه والبيهقي في سننه عن ابن عباس في قوله : { يسألونك عن الأنفال } قال : الأنفال المغانم كانت لرسول A خالصة ليس لأحد منها شيء ما أصاب من سرايا المسلمين من شيء أتوه به فمن حبس منه إبرة أو سلك فهو غلول فسألوا رسول A أن يعطيهم منها شيئاً فأنزل A : { يسألونك عن الأنفال قل الأنفال } لي جعلتها لرسولي ليس لكم فيها شيء { فاتقوا A وأصلحوا ذات بينكم } إلى قوله : { إن كنتم مؤمنين } ثم أنزل A { واعلموا أنما غنمتم من شيء } الآية ثم قسم ذلك الخمس لرسول A ولذى القربي واليتامى والمساكين والمهاجرين في سبيل A وجعل أربعة أخماس الناس فيه سواء للفرس سهمان ولصاحبه سهم وللراجل سهم وأخرج أبو عبيد وابن المنذر عن ابن عباس في قوله : { يسألونك عن الأنفال } قال : هي المغانم ثم نسخها { واعلموا أنما غنمتم من شيء } الآية وأخرج مالك وابن أبي شيبة وأبو عبيد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والنحاس وأبو الشيخ وابن مردوه عن القاسم بن محمد قال : سمعت رجلاً يسأل ابن عباس عن الأنفال فقال : الفرس من النفل والسلب من النفل فأعاد المسألة فقال ابن عباس : هذا مثل ضبيع الذي ضربه عمر وفي لفظ : فقال ما أحوجك أن يصنع بك كما صنع عمر بضبيع العراقي وكان عمر ضربه حتى سالت الدماء على عقبيه وأخرج ابن جرير وابن المنذر عنه قال : الأنفال المغانم أمروا أن يصلحوا ذات بينهم فيها فيرد القوي على الضعيف وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر والنحاس وأبو الشيخ عن عطاء في قوله : { يسألونك عن الأنفال } قال : هو ما شد من المشركين إلى المسلمين بغير قتال من عبد أو دابة أو مداع وذلك للنبي A يصنع به ما شاء وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وأبو الشيخ عن محمد بن عمرو قال : أرسلنا إلى سعيد بن المسيب نسأله عن الأنفال فقال : تسألوني عن الأنفال وإنه لا نفل بعد رسول A وأخرج عبد الرزاق عن سعيد أيضاً قال : ما كانوا ينفلون إلا من الخمس وروى عبد الرزاق عنه أنه قال : لا نفل في غنائم المسلمين إلا في خمس الخمس وأخرج عبد الرزاق عن أنس أن أميراً من الأمراء أراد أن ينفله قبل أن يخمسه فأبى أنس أن يقبله حتى يخمسه وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن أبي حاتم عن الشعبي في قوله : {

يسألونك عن الأنفال } قال : ما أصابت السرايا وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير والنسا في
ناسخه عن مجاهد وعكرمة قال : كانت الأنفال ﴿ والنَّبِيُّ حَتَّى نَسْخَهَا آيَةُ الْخَمْسِ ﴾ واعلموا
أنما غنمتم من شيء } الآية وأخرج ابن أبي شيبة والبخاري في الأدب المفرد وابن مردوحه
والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس في قوله : { وأصلحوا ذات بينكم } قال : هذا تخرير
من ﴿ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَتَقَوَّلُوا وَأَنْ يَصْلُحُوا ذَاتَ بَيْنِهِمْ حِيثُ اخْتَلَفُوا فِي الْأَنْفَالِ وَأَخْرَجَ إِبْرَاهِيمَ
أَبْنَ حَاتَّمَ عَنْ مَكْحُولٍ قَالَ : كَانَ صَلَاحُ ذَاتِ بَيْنِهِمْ أَنْ رَدَّ الْغَنَائِمَ فَقُسِّمَتْ بَيْنَ مَنْ ثَبِّتَ عِنْدَ رَسُولِ
هُنَّا وَبَيْنَ مَنْ قَاتَلَ وَغَنَمَ وَأَخْرَجَ إِبْرَاهِيمَ أَبْنَ حَاتَّمَ عَنْ عَطَاءٍ فِي قَوْلِهِ : { وَأَطِيعُوا هُنَّا وَرَسُولَهُ }
قال : طاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة